

ولما وصل الى هذه الالفاظ الاخيرة التفت الى حاشيته وبدأ يخاطبهم بصوت خافت واما انظر اليه حاراً بارأ. ثم نهض من مكانه فقام له الجند بالسلام كما فعلوا حينما قدم ورجع الى البلد بمعظم وتبجيل وارتدت الدخول معه اكن حال بيني وبينه جماعات الناس وبينما كنت احاول الانسلاخ بينهم شمعت كأن واحد ادفعني فصعوت من نشوة الكرى وقد انطبعت في مخيالي الرويات التي رأيتها في عالم الخيال فوجدته مطابقاً لعالم المثال فاقروقت عيناى بالدموع وقلت: رحماك يا رب رحماك! ألك بان تلطف بعبادك وتقيم لهم رجالاً ذوي حزم وعزم ينظرون في الامور على ما هي ويتصرفون في العواقب لكي يموذ البناطير العمران، فيحقق بخناجيه على جميع هؤلاء السكان، فان الرحيم وانت الرحمان.

٢٠ - ٨٠٤٠



L'impôt étrange de l'Iraq, nommé Dhar'ah.

مركز تحقيقات كاتوليك في بيروت

بمناسبة ما حصل في العام الماضي من توالي شكايات الزراع وفي هذه السنة من تشكى الحكومة من الذرعة - واغلب الناس في الولاية فضلاً عن الموجودين خارجاً عنها، بل حق موطنى (مأمورى) لذرعه انفسهم يجهلون اصولها (ومعاملاتها)، ولا لوم عليهم ولا تتريب لانها خاصة بالمراق، بل ببعض انحائه فقط، وذلك على كاعدة ان احكام حكومتنا العثمانية جارية في الاغاب وعلى التعامل، (كما يقولون، اى على العادة الجارية في ذلك المحل منذ القدم) فلا تشبهه معاملة معاملة حتى في الجفس الواحد - احببت ان ابين حفيقتها ليعلمها الجميع ويطلعوا على خفاياها اطلاعاً كافياً بحسب الامكان وقصدت نشر ذلك في مجلة (اقتاف العرب) لما هي عليه من كثرة الانتشار ولان هموم الطبقات الراقية في كل البلاد يميزونها الانتقادات الجدير بها، ولان مثل هذه الامور لا قاندة من نشرها في صحف تقرأها العموم، فلها ذرايت ابقاها مخفية في هذا التاريخ والله المستعان.

٢ تعريفها وذكر واضعها وسبب وضعها

الذرعة (وزان سبعة) نوع من الضريبة تضرب على الاراضى المزروعة ارضاً واول من اقام اصولها مخلفين بك دفتر دار ولاية بغداد (اى امين خزيتها) في نحو سنة ١٢٧٧ مالىة اى سنة ١٨٦١ ميلادية. وكانت الحكومة قبل ذلك تضمّن الاراضى

(وهم يقولون بهذا المعنى: تسلي الاراضى بالانعام) والضامن (اي الملتزم) يتقسم المزارع مع الزراع وتأخذ ريعها (اي عوائدها)؛ فرأى الموماليه ان لزراع يسرقون القسم الكبير من محصولات لقم [اي ريع الارز] وعند المقاسمه لا يبقى للضامن [او الملتزم] الا الشيء الطفيف ويظلمهم فيأخذ منهم اكثر من حقه، وهو محق في ما يظنه. والسبب في سرقة الزراع هو جور العمال وطمع الضامين معاً. اما طمع الضامين فلانهم كان يريدون الحصول على اضافى ما سلموه الى الحكومة. تضالهما كانوا يؤدونه يومئذ للموظفين من كبير الى صغير. واما جور العمال فلانه لم يكن للحكومة العثمانية مكانة للمحسن ولا مجازاة للسارق الخائن كما كان دأبها. فكم سمعنا من اخذ منهم للمحاكمة ويصعد بتصور السامع ان المأخوذ يشق عن قريب لان جرمه عظيم، فلان بضعه ايام حتى يسمع ببراءته وفقاً به او بيته. اللهم الا اذا كان الموظف [المأمور] صغيراً وسرقته حقيرة فحينئذ يعاقب، على حد قول الشاهر التركي :

مليونته چالان مسند عزتله سراقا قراي كابتور بورقاج ضرورشك مرتكبي جاي كر كدر معناه: ان سارق الملايين قائم على منصبه العزه الاثقه بجلاله ، والمخلص لبضه ضروش مستحق للسجن .

٣ كيفية الذرة

يخرج بضعه موظفين [مأمورين] برأسهم ناظر وتحت ايديهم ذارعون ومحافظةون [واغلبهم لا يميز بين الزرع الذي برأه ان كان ارزاً او حنطة او شعيراً] فيذرعون الارض المزروعة بحبل طوله ٥٠ ذراعاً بذراع اليد الذي هو عبارة عن نصف متر فيكون طول الحبل نحو ٢٥ متراً. والارض التي طولها حبلان في مثلها عرضاً [اي ٥٠ متراً] يسمونها [مشاره] [١] واكون زرع الارض يحتاج الى كثرة المياه، يضطر الزراع لزرعه على حافات الجداول والكثرة الفلاحين اضيق عليهم الحافات فلذا يحملون لكل فلاح على النهر فسهحه يتراوح قدرها بين ٨ اذرع و ٣٠ ذراعاً بذراع اليد اي ما بين ٤ و ١٠ أمتار. فهذا عرض الزرع. واما طوله وهو ما يسمونه

[١] المشاره في كتب اللغة: الدرة التي في المزرعه اي البقة التي تزرع . وقدرها في السابق جريب . اما اليوم فانها تبلغ نحو (دونم جديد) اي تبلغ ارضاً مساحتها ١٠٥٠٠ متر مربع . وتجمع المشاره على مشاور ومشاره (ل.ع)

بلغتهم [النزال] [١] فيمتد الى ١٠٠ او ٢٠٠ جبل والجبل كما ذكرناه نحو ٢٥ متراً
فتمتص مزارع البص بمزارع البص الاخر تقريبا لان كل طائفة من الفلاحين
مربوطة بشيخ وهو الذي يسمونه [سركال] [٢].

فاذا اتى الذارعون اخذوا اولاً بذر [النزال] اى طول الزرع فلا يمارضهم
احد. لكن الطامة الكبرى في المرض اذ هناك تقوم قيامه الزرع مع الذارعين
لانهم اذا ارخوا الجبل او شدوه او بلوه بالما حدث فرق كبير، اذ على الذراع
الواحد يبنى حساب طول المزرعة التي هي ١٠ آلاف ذراع او اكثر او اقل. فان كان
المرض اذرع وحصل الزرع على واحد فهو الثمن بالنسبة الى الزرع كله كما لا يخفى
والقائم من ارضي الذراع فاغضى له عن ذراع او نصفه! والويل لمن لم ير ضربه بل ان
اغضبه والعياذ بالله اعلى ان امره اهون مما يليه من الاعمال لان هذا العمل هو
(اول عقبة) في هذا الصدد.

(العقبة الثانية) **التخمين** وهو **الخرص**، **قلجراص** وهو المعروف عندهم
(بالعمدة) ينظر الزرع بنظره الثاقب فيقول: ان هذه الارض التي ذرعت فكانت
١٠ مشاور مثلاً: ٣ منها وصف زرعتها اعلى (اي فاخر) و٢ اوسط و٢ ادنى. و
عديم (اي كالعديم، منى ليس فيه حاصل) و٢ عائد (٣) والقول قوله: فان رضى عن
الفلاح قلل الاعنى وزاد في المديم او المائد والمكس بالمكس. والرضاء لم يكن الا
عن طمع في نفس الخراس بعد ان يكون قد توطأ مع الفلاح على مضم بجره منه كما هو
مألوف العادة يومئذ.

وهنا يحسن بنا ان نعرف القارى باسم الحساب: فالاعلى على حسب القاعدة
يترك منه (اي يطرح منه) السدس في الهندية، والسبع في الشامية، والاوسط
يبقى منه الخمس فلا يدخل في الحساب في الهندية. والسدس في الشامية، والادنى
يرمى منه الثلث في الهندية، والرابع في الشامية. وذلك لان ارضي الشامية اقوى
انباتاً واكثر ريباً من ارضي الهندية، والمائد هو ان يخمن الخراس ما يمود

[١] النزال ووزان شداد، وسمى كذلك اشتقاقاً من النزول اى الانحدار.

[٢] السركال تحريف السركار الفارسية ومعناها: رئيس الثقل.

[٣] المائد ما يخمن المديق ما يخمن بالحكومة من ربيع المزرعة تخميناً لا يمارضه فيه معارض
لحاسة ذلك الزرع.

الى الحكومة من حاصلات الزروع من دون تجبير، والتجبير عندهم هو هذا الحساب او التزويل الذي ذكرناه . فنقول مثلاً: ان هذه الارض زرعت فكانت عبارة عن ٤٠٠ مشاركة فيها : ١٤٠ اعلى و ١٠٠ اوسط و ١٠٠ ادنى فالجملة ٣٤٠ وفيها ٣٠ عدجاً لا حاصل فيه و ٣٠ مائداً . فيكون صافي الزرع عن ١٤٠ مشاركة الموصوف زرعها و بالاعلى ١٢٠ بمد ترك السبع . وصافي ١٠٠ الاوسط ٨٠ بمد ترك الخمس وصافي ١٠٠ الادنى ٧٥ بمد ترك الرابع فجملة الصافي عن ٤٠٠ مشاركة هو ٢٧٥ مشاركة لا غير . وحاصل شلبي (١) المشاركة الواحدة هو ٨٠٠ حقة من حقق الاستانة فيكون حاصل جميع تلك المشاور... ٢٢٠٠ حقة . منها: النصف للذراع اسمياً اي ... ١١٠٠ والنصف الآخر اي ... ١١٠٠٠ يعطى خمسة للسرككال اي ٢٣٠٠٠ والباقي اي ٨٨٠٠٠٠ حقة الحكومة . ويلحق بها المائد وهو عن الارض الرديئة الزرع اي يوخذ عن كل مشاركة نحو ٦٠ الى ١٠٠ حقة حصة (الاميري) الميري . هذه صفة المقاسمة التي جرى عليها التعامل ، ذكرناها لتطراد الوقوف على حقائق الامور والا لم يكن وقت ذكرها لاننا لم نزل في العقبة الثانية في توير علوم رسدي

(العقبة الثالثة) هي عقبة الكتاب والموظفين (المأورين) فان العمدة يقول للكتاب اكتب : الاعلى ١٤٠ (فيقيدها ٢٠٠) والاوسط ١٠٠ (فيدونها ١٤٠) والادنى ١٠٠ (فيحرقها ٢٠) والمديم ... والمائد ... فيقول لسان حال الكتاب : واذني عن الفحشاء صماء . (٢) وكثيراً ما جرى مثل هذه المعاملة مما ملة الكتاب لتقييد حاصلات الزراع فكانوا يأخذون اوراقاً من العمدة تشهد بحاصل زرعهم فاذا اتوا للمقابلة بما في دفتر الكتاب يرون الخلاف فتكثر الجلبة ويعلو الصياح وتشتد المناجاة حتى انها ربما تنتهي الى امتشاق الحسام كما جرى الامر غير مرة . اللهم الا ان يكون قد وقع التراضي مع الموظف ايضا فالويل حينئذ للخزينة . (العقبة الرابعة) امر تخمين الاسعار . ان الاسعار يقدرها القضاء فيزيدها اللوا . وربما زادتها الولاية . فيجرى بهذا الخصوص مخاصمات كثيرة حتى يبلغ فيها السيل

١٠ الشلبي (بكسر فسكون) هو رز بقشره عند أهل العراق (le riz dans la balle) وبالانكليزية Paddy ٢٠ اي اني لا احب ان اسمك تقول : فيه عدم وعائد ، فيها ان الكلمتان عندي بمنزلة الالفاظ البديهة ولهذا اسم اذني عن سماعهما .

الزبي. اما سعر الحقة على الغالب فهو ٢٠ ليرة فيكون حاصل ال ٤٠٠ مشاركة التي ذكرناها فوق هذا هي حصة الاميري منها ٤٤٠ ليرة على الفلاح ان يود بها كيفما كانت الحال. وزد على ما تقدم فعل الحكومة فانها كانت تأخذ من الفلاح دراهم على الحساب قبل ادراك زرعته فتطلب مثلاً من هذا الرجل الذي سيكون حاصل زرعته ما حصته الاميرية ٤٤٠ من ٢٠٠ الى ٣٠٠ ليرة على الحساب، وتضطره الى الدفع بالجنود والارهاق فيضطر الى بيع الحاصل قبل ادراكه ويبيع للتجار التيفار (١) الذي هو عبارة عن ١٦٠٠ حقة بثلاث ايرات اي انه يبيع الحقة بسبع ايرات ونصف الى ثمان. وهذا البيع يعرف عندهم باسم وعلى الاخضر (٢) فيأخذ منهم الدراهم ويدفعها الى الحكومة. وعلى هذا الحساب تكون اثمان جميع حاصلاته ١٢٣٤ ليرة. وعند الحساب المذكور يكون عليه من الرسم الاميري ٤٤٠ ليرة (هذا ان كان السعر كما ذكرنا وهو ما يكون في السنين الرخية الاسعار. واما في سنة غلاء الاسعار فائقل يكون مثلين. وهذا كله يجري في انحاء الهندية والشامية واما في العمارة وما جاورها فرسم الحكومة مقطوع وهو ليرة عثمانية عن كل مشاركة سو آ زاد السعر او نقص. ولذلك قلنا ان معاملة الحكومة تجري على التعامل، اذ في كل موطن نوع معاملة وبمدهذا يريد منه الشيخ حصته فيضطر الى البيع على السنة القادمة فيدفع

(١) التيفار وطامة المراق تقول التيفار والطناف (وزان سحاب او باسكان الاول، كان معروفاً عند العرب الاقدمين وقد عربوه بصورة تيفار، قال في ذيل الفصح ص ١١٢ وهو التيفار على شمال اى بكسر الاول، للذي تسميه الامامة التيفار. — قلنا: والكلمة الاصلية هي تيفار الفارسية ووزان سحاب. وهم (اي الفرس) يقولون ايضاً: تيفاره وقاره. وهو الطست من التيفار اى لاجانه الكبيرة والحاجبه ويراد بها عندهم ايضاً: الاطمية ولا سيما التي تدخر في تلك الحاجبه. — وايضاً نوع من المكاييل بسبع عشر كيلات وكل كيله عشرة امانان من امانان تبريز. ويقول بعض الفرس فيه ايضاً (تيفار) بالضم، وتيفار بقاف ووزان سحاب وتجمع تيفار على تياغير واهل الشام يصحون الكلمة فيقولون الدفار بالبدال ويريدون بها الحاجبه الكبيرة. — فيكون كلام المراقين فصيحاً بمعنى نوع من الاوزان ويختلف قدر التيفارين ١٠٠٠ و ١٥٤٠ كيلغراماً (راجع لغة العرب ٢: ٢٤٩) والمراد بالتيفار هنا ١٠٠٠ حقة استاينيه اى نحو ١٥٤٠ كيلغراماً. [ل. ح.]

(٢) وهم يقولون (عل اخضر) والعرب الاقدمون كانوا يسمون هذا البيع المخاضرة قال النووي: خاضره مخاضرة: باعه الثمار خضراً قبل ظهور سلاخها. ومنه في الحديث انه نهي عن المخاضرة [ل. ح.]

الى الشيخ طلبه. وفي القابل (العام الذي هو بعد العام الحاضر) لا يقي زرعه لاداء ما عليه من الدين ولما يحتاج اليه من الطعام واللباس فيضطر الى معاملة الحكومة. فتبقى البقايا في الدقار فتري حاصل الشامية مثلاً ٨٠ الف ليرة. فيدخل منها الصندوق من ٢٠ الى ٣٠ الف فقط والباقي بدون في الدقار باسمه بقاياه وهلم جرأ. فيسبب هذا الارتباك الحروب وهلاك الأفسس .

هذا ما كانت عليه الحالة في العهد البائد عهد الاستبداد والتحكم ولا يظن القارى ان في الأمر مبالغة او اغراقاً ، كلا والف كلا، بل فيستهوين وتقليل. اما الان فلكوني اعترت المداخلات لا اعلم كيف تجري المعاملة في هذا الخصوص!!! لكن مادة الذرة والحصه والتجوير باقية على حالها بدون ادنى خرق لانهما معاملة رسمية. وفي العام الماضي تولى نظارة الذرة دفتر دار الولاية (امين خزيتها) توفيق بك واوصل الرسوم الاميرية الى ١٢٠ الف ليرة فصاحت العشار وناحت (لانهما كانت تتراوح في السنوات الماضية بين ٣٠ الف الفاً) ولكن بدون جدوى. وبقي منها قسم دون في دفتر البقايا حسب العادات القديمة. وفي هذه السنة خرج الموظفون بنظارة متصرف الديوانية رشيد بك فكانت الظواهر تدل على ان الحصه الاميرية ستكون ما بين ٤٠ الى ٣٠ الف ليرة؛ فقامت قيادة الحكومة وهزل المتصرف ووجرت المفاوضات بين الولاية والاستتانه فكانت نهاية الامر ورود الجواب من نظارة المالية ان يؤخذ من الزراع الحاصل المعدل تخميساً اى بحسب حاصل خمس سنوات يؤخذ منها خمسيها. فالزراع يقولون: نعم لكن بشرط عدم ادخال السنة الماضية في السنوات الخمس لانما مظلومون فيها ظلماً فاحشا ظاهراً لكل ذى عينين فلعل الحكومة تصنى اليهم. وهي اعلم بامرها منهم.

فتنا: والسبب الذي الجأ ذوى الامر الى حساب خمس حاصل الاعوام الخمسة السابقة هو ان ارض زرع الارز بمدحصاده يضرها اصحابها بالماء خدمة للزرع المستقبل فلا يمكن اعادة ذرعها وان يكن قد سبق للحكومة ذرع الارض بمدحصادها وتخمين العمدة لحسن الزرع وسوته وان كان مضموراً بالماء فهو من باب المكاشفة (١)

(١) المكاشفة عند الصوفية هو شهود السالك للاعبان وما فيها من الاحوال في عين الحق فهو التحقيق الصحيح بطالعه تجليات الاسماء الالهية. وهي غير الكشف لان الكشف هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الخفية والامور الحقيقية ووجوداً وشهوداً

لكن الحكومة الدستورية لم تنشأ بحجارة الحكومة السابقة في هذا العمل ايضاً!
اما السراكيل او المشايخ فهم يأخذون خمس حصص الحكومة كما ذكرنا و يأخذون
من حصص الفلاح نصفها و اقل قليلاً من النصف ومن هذا كله تعلم دركة حالة الفلاح
العراقي. انعمه الله و ناله !
احمد رفيق

اربع اسر بلا اثر «تتمة»

Quatre familles de Bagdad, aujourd'hui éteintes.

٣ . اسرة صركار اغا

ان صركار (١) اقا او اقا صركار بن ابيد خلد اريان الارمني غير الكاثوليكي
والمولود في جلفا (قرب اصفهان) كان وكيلاً في بغداد لشركة الهند الانكليزية التي
ينبغي ان نعرف اسرها لافراد. ليحفظوا علماً ببقاء هذا الرجل و عليه نقول:
في سنة ١٥٩٩ اسس بعض التجار الانكليز في لندن شركة ذات امتياز ذاتها
التجارة في بلاد الهند ولم يكن رأس مالها اول بدء سوى ٦٤٠٠٠٠ ايرة. لكن لم يمض
عنى تأسيسها قليل من الزمن الا واخذت تكبر وتوسع وتزجج نجاحاً لا مزيد عليه
وخاصة بعدما انضم اليها ثلاث شركات اخرى انكليزية فانها أصبحت اذذاك كدولة
صغيرة في تلك الاقطار تنفذ الوفود (٢) والسفر آه الى ملوك وامر آه الشرقي وتضرب
مهم اليهود التجارية والسياسية وبعمرها سطولها عباب بحر الهند وخليج المعجم
وتفتح عساكرها المدربة على الطريقة الاوربية البلاد الواسعة وتشيد الحصون المتينة
وتزدها بالنديان القوة حتى استتب لها اخضاع القسم الاكبر من الهند لسلطانها
وكسر شوكة مزاجها من بورنوغالين وهولنديين وفرنسيين وهكذا أصبحت او
كادت تصبح انكلترا الحاكمة الوحيدة في هندستان المناهولة بمئات ملايين من النفوس

(١) راجع للمكاشفة كتاب جامع اصول الاولياء للشيخ احمد الكمشقاني القشيني

المجديد الخالدي ص ٢٦ واطالع في معنى الكشف كتاب التعريفات في مادة كشف).

(٢) ان هذا الاسم مقطوع من كلمة «ماركاري الارمنية» ومعناها نس وهو عندهم احد
نوت القديس يوحنا المعمدان «يعي» وكذلك اسم ابيد مقطوع من كلمة «ايفيدك» او
ايفيدس اي بشارة.

(٣) ومن جملتهم الوفد الذي ارسلته الشركة الى شاه المعجم سنة ١٨٠٠ وعند عودته
الى الهند مر ببغداد وكان نازلاً فيها بالمشيخ صاحب المجموعة السابق ذكرها وقد وصف
دخول هذا الوفد عاصمة العراق والاحتفاء به وصفاً دقيقة ولهذا رأيت ان اوردته هنا بالمرف الواحد: